بيان من روح القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله النفس المتعالية ، و الصلوة و السلام على النبي و آله النجوم الهادية .
منك ربّي أستنزل الماء ، و أسألك اللهم ربنا أن تنزل علينا مائدة البيان من السماء .
قلبي في وجه الله متفاني و عقلي في ملكوت الله لا يماري .
شمسك مشرقة و لكن هل القلوب هل متوجهة .
-.-
العوالم أربعة ، النفس المتعالية ، و الملكوت ، و الآفاق و الأنفس .
النفس المتعالية هي الوجود الواحد العظيم اللامتناهي ، أصل كل شئ و المحيط بكل شئ .
الملكوت هو محل الروح و الملائكة و النور و النبوة منه تشرق ، و هو الغيب .
الآفاق هو محل الصور و الأجسام ، و هو الشهادة .
الأنفس هي مجمع العوالم الثلاثة و محور الخلق و الغاية فيه .
و ليس وراء هذه العوالم الأربعة شيئ ، و إنما يعلم و يعرف من أحاط به .
-.-
لا يترجح أحد الممكنات على الآخر إلا بمُرجّح ، فمن كان في إمكانه أن يقوم أو يقعد أو يجري و لابد له من تعيين أحد هذه الممكنات إذ يستحيل أن يكون قائما و قاعدا في نفس الوقت ، فلما يختار أحد الاحتمالات و يرجّحه على صاحبه فهذا السبب الذي جعله يرجّح هذا الاختيار هو المرجّح ، و كلما زادت قدرة المختار و علمه و حكمته زادت عظمة سبب ترجيحه للاحتمال المعينّ .
تزداد المعرفة بالشئ بازدياد مقارنته مع غيره ، فمن يقرأ كتابا في موضوع ما ، ثم يقول عنه أنه لا بأس به ، فيذهب و يقرأ خمسة كتب أخرى في نفس الموضوع إن سُئل عن الكتاب الأوّل سيتغيّر حكمه ، فإن قرأ عشرة كتب أخرى ستزداد دقة حكمه على الكتاب الأول .
من كان علمه أرقى و حكمته أوسع كان كلامه أدق و أعمق . فهل كلام السفيه ككلام الفقيه ، و هل كلام النبي ككلام الله العلي .
-.-
كتاب الله سور ، و السور آيات ، و الآيات كلمات ، و الكلمات حروف ، فأساس كتاب الله العلم بماهية الحروف ، ثم العلم بمعاني الكلمات ، ثم العلم بدلالات تركيب الحروف و الكلمات . و إنما المقصود هو العلم و ليس غير العلم .
الحروف العربية ثمانية و عشرون حرفاً ، أربعة عشر حرف قوّة ، و أربعة عشر حرف ظلمة . و حروف القوة هي فواتح السور ، و حروف الظلمة هي الباقي . و حروف الظلمة على درجتين ، سبعة و سبعة ; السبعة الأولى هي التي وردت في سورة الحمد ، و الأخرى لم ترد . و عدد أحرف القوّة هو عدد مرات تكرارها : فحرف النون لم يرد في فواتح السور إلا مرة واحدة فعدده واحد و هكذا ، أما أحرف الظلمة فهي في أحد الاعتبارات تعبّر عن الباطل الذي لا حقيقة له فعدده صفر ، لا شئ ، و لكل حرف معنى أو أكثر ، مثل حرف النون هو في أحد اعتباراته رمز على الحوت " و ذا النون إذ ذهب مغاضبا " و قال " و لا تكن كصاحب الحوت " (أقول : و كل حرف رمز على نبي . "يونس") . و تأمل أن الآية الثانية وردت في سورة القلم المباركة التي فاتحتها "ن و القلم و ما يسطرون" ، و كلما عَظُم

البناء عَظُم حجر بنائه بنفس نسبة عظمة البناء ذاته ، إذ هل البناء غير الحجر و الهندسة التي تركّب الحجر و تحسن تأليفه لغاية ما ، فبما أن حجر بناء القرآن كتاب الله العزيز العليم هو الأحرف العربية المباركة فعظمة العلم المكنون فيها يتناسب و عظمة العلم المكنون في آيات القرءان نفسه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

كتاب الله نزل باللسان العربي ، فمعاني كلماته يجب أن تستمد ي الأصل من أهل هذا اللسان المبارك، و لكن بما أن القرآن تنزيل الحكيم العليم و دقّته متناهية في الشدّة ، و بما أنه ليس لأهل هذا اللسان مؤلفات وضعوا فيها معاني الكلمات اللهم إلا شئ من الشعر المروبي أكثر منه مكتوب ، هذا إن كان قد كُتب شئ أصلا ، و كان الشعر ليس دقيقا في إبراز المعاني بالدقة التي في القرءان العظيم ، فترى الشاعر إن كانت قصيدته قافيتها فائية قال سيف ، و إن كانت ميمية قال حسام ، فالشعراء يجعلون الظاهر و المبنى هو السيد و المعنى هو العبد . أما في الحقيقة الربانية فإن الأمر من الغيب إلى الشهادة ، من الباطن إلى الظاهر ، من المعنى إلى المبنى ، فيجب أن يكون اللفظ عبد المعنى ، و لذلك نفى الله أن يكون القرءان قول شاعر ، حتى يعلم الناس أن كلماته علم و ليست محسّنات و بديع و ما شبه ، فلا يُسلّم معنى الكلمة لما يقوله الشعراء أبدا إلا بأن يشهد أربعة منهم على هذا المعنى أو يشهد القرءان نفسه لهذا المعنى ، بقصصه و سياقه ، أو يظهر العقل أن ما قيل في المعنى الذي جاء به الشاعر لا بأس به من حيث ما يعلّم القرءان بوجه عام ، أو أن يشهد اثنان من علماء اللسان العربي الذين لا يقولون بالترادف بل يدركون التبيان بين ما يظن العوام أنه ترادف ، و لا يقولون أن المعاني خدم المباني بل الألفاظ هي الوسيلة لإيصال المعنى و لذلك و لذلك فقط وضعت الكلمة المعينة بدل الاحتمالات الكثيرة التي كان بالإمكان وضعها بدلا منها . (أقول : وضع اللغة قبل استعمالاتها ، فلولا وجود الوضع لما فهمنا أقوال الشعراء أصلا) .

-.-

الماء لا لون له في الحقيقة بل لونه الصفاء التام ، و لكنه يتلوّن بحسب الإناء الذي يُسكب فيه إن كان الإناء متلونا ، و لكن الإناء الزجاجي الصافي يُظهر الماء على حقيقته التي هو عليها ، كذلك القرءان ، يجب على من يريد أن يتعلمه أن يقرأه و هو يريد أن يتعلّم منه لا أنه يريد أن يقرر مذهبه منه أو به ، بل نتعلّم من الله ، نذهب إليه برغبة صافية لنتعلّم ما يريد هو أن يعلمنا ، كالكأس النظيف ذي الزجاج الصافي ، نظافته تبقي الماء طاهراً إذا سُكب فيه ، و صفائه يُرى الناس حقيقة الماء الذي يحتويه . "و أنزلنا من السماء ماءً طهورا" .

السؤول قبول ، ففي العالم الجسماني إن أراد أحد أن يأخذ شيئا ليس في متناول يده يجب عليه أن يتحرك بجسمه إلى هذا الشئ و يأخذه، هذا من حيث الأصل، لأنه بحسمه في مكان و هذا الشئ الذي يريده في مكان آخر فيجب أن يتحرك من مكانه إلى المكان الآخر ، أما في العالم الباطني فبما أن الطلب إما وجه الله و إما نوره ، ووجه الله هو ليس مكان واحد "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" فهو في كل مكان على السواء إذ هو الواحد الأحد جل و علا ، و نور الله "زيتونة لا شرقية و لا غربية" فبما أنه لا جهة لها فهي في كل جهة ، فهي في كل مكان على السواء ، إذن فلا فرق بين هنا و هناك لطالب الباطن الحق ، "و هو معكم أينما كنتم " ، و الذي يحدد ماذا تأخذ من نوره هو رغبتك ، في ماذا ترغب فهذا تأخذ ، و سؤالك هو الذي يعبّر عن رغبتك لا مجرّد تحرّك عواطفك ، و اجتهادك يعبّر عن سؤالك، مثل ذلك كالشمس المشرقة ، الذي يقبع في غرفة تحت الأرض لا حظ له منها ، و الذي يجلس في غرفته و يفتح نافذته يصيبه من نورها ، و الذي يذهب إلى البحر و يدهن نفسه بالزيت يصيبه شئ عظيم منها ، و هي شمس واحدة في ساعة واحدة ، في قرية واحدة ، و لكن باختلاف حال الناس و أعمالهم يختلف قبولهم لنورها ، و متى قرر هذا القابع تحت الأرض أن يصعد إلى الأعلى و ينفتح على الشمس تكون الشمس قد أعطته في نفس لحظة خروجه من الظلمات ، و هي ما زالت تعطيه نورها حتى و هو تحت الأرض و لكنه هو ساتر نفسه عنها ، تعطيه

و هو يرفض القبول ، فهل يلوم الشمس ، أم هل يحسد هذا الذي يجلس على شاطئ البحر ، ما لك لا تصعد و تذهب إلى حيث ذهب صاحب البحر فيصيبك نفس ما يصيبه من النور ، و لذلك قال الله "و آتاكم من كل ما سألتموه" و لم يقل "و سيؤتيكم من كل ما ستسألوه" و إنما بالماضي لتعلم أنه متجلّ لك بكل شئ و لكن عدم قبولك هو لعدم سؤالك ، فسل تُعط و ادع تجُب .

أحسن من يعلمك معاني الكلام هو المتكلم نفسه ، و إنما يمنعك أن تتعلم من صاحب الكلام نفسه لو كان ميتا أو غائبا أو أخرسا أو محجور عليه ممنوع من الكلام ، فلو كان حيا لا يموت ، و حاضرا لا يغيب ، و كلّم موسى تكليما و عزيز حكيم لا يُسأل عما يفعل و هم يُسألون ، فحريّ بك أن تطلب العلم من أهله .

أسألك ربي أن تعلمني كتابك فإني فقير إلى بيانك . و سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

-.-

"سنريهم ءاياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد " . لما جعل الله أوّل عالم يُرى فيه آياتة المباركة دلّ ذلك على أن عالم الافاق ، عالم الصور و الأجسام ، هو المعبر لعوالم النفس و الملكوت و النفس المتعالية . كتأويل الرؤيا ، صورة وراءها معنى ، و ليس يُعرف المعنى إلا من أحسن في تدبر الصورة و ما تشير إليه من معاني مجردة ، فسبع بقرات سمان صورة و لما نظر فيها يوسف و عبر من التشخيص إلى التجريد . رأى "تزرعون سبع سنين دأبا"، ما علاقة البقرة بالسنة ، هذا هو علم تأويل الأحاديث الذي يختصّ الله به من يشاء من عباده ، فمن شاء أن يتعلم من الله فليسأل الله و يجتهد ، و إن الله وصف القرءآن بقوله "أحسن الحديث" ، فالقرءآن كالرؤيا ، و لذلك أكثره قصص و أمثال ، بل كله أمثال ، و بذلك يكون القرءآن هو أعظم مُعبّر عن العوالم الأربعة ، و أعظم معبّر عن أمر الله " ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين " .

"هو الذي أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها " تأمل في هذا المثل المبارك ، واد عريض عميق ، و حفرة صغيرة ، في نفس المنطلقة ، نزل المطر من السماء و ما زال ينزل ، فامتلأت الحفرة في دقائق معدودة ، أما الوادي العريض العميق فما زال لم يمتلئ بعدُ بل ظل يقبل الماء حتى امتلأ بعد أسبوع ، الماء واحد ، و السماء واحدة ، و لكن بحسب سعة الحفرة و عمقها تكون سرعة امتلأها ، كذلك القرءان ، قد يظلّ العالم في آية واحدة سنة لا يفرغ من علمها و استنباط المعارف و الأحكام منها ، و نفس الآية يقرؤهاآخر في ثوان معدودة و لا يرى فيها شيئا بعد ذلك ، فصاحب الحفرة عليه ألا يعترض على صاحب الوادي العميق أو يحسده على سعته ، أو ينكر عليه كل ما فيه من الماء و يرميه بالتهم و الافتراءات السيئة ، إن أردت أن يكون لك مثل وادي صاحبك فاذهب و تعلّم منه ، و على العالم ألا يرضى إلا بالتعمق و باب ذلك الحلم و حسن الخلق ، و الانصراف عن الخلق بالحق ، و حسن النية في طلب العلم و الصدق ، تعلّم القرءان لأن الله يحب أن تتعلّم منه و تحيى حياتك معه ، و تعلم القرءان بفرحة عظيمة فإنه كلام الله رب العالمين ، و أعظم تنزيل ، افرحوا يا أمة القرءآن ، افرحوا به ، افرحوا بالله الذي نزل عليكم الكتاب ، و تعلموا من بعضكم البعض ، و لينفق كل مما آتاه الله ، فإنه من علّم آية علمه الله عشر آيات إلى ما شاء الله ، و لا ينكر عالم على عالم فإن في القرءان علم كثير . و الحمد لله رب العالمين .

-.-

كل حركة و سكنة يقوم بها الإنسان بإرادته هي فرع أصله في رأسه ، و القرار الذي يتخذه ليتحرك أو لا إما مبني على علم أو على جهل ، و الجهل إما الهوى أو هو نفسه لا يعرف لماذا اتخذ القرار المعين ، و لا نحب الجهل ، إذن فالعلم هو سبب أحسن القرارات ، أصل حيوة الإنسان المخلص هو العلم ، فكل يما جب أن يوجّه اللإنسان يجب أن

يكون علما ، و لا شأن للإنسان في غير العلم . حتى المشاعر تكون مبنية على معلومة في رأس صاحبها ، حتى لو لم يدرك هو ذلك ، و يمكنه تغيير المشاعر بتغيير المفاهيم، فترى المء يخاف من الموت و لكن إذا صار عنده يقين علمي بأنه سيدخل إلى جنة عظيمة و يجعله الله فيها ملكا مخلدا إلى الزبد تراه يحب الموت أكثر من الحيوة ، بل لعله يصبح يخاف من الحيوة لأنها قد تكون سببا لأن يخلّد في النار و العياذ بالله ، فهذا معنى تتغير المشاعر بتغيّر المفاهيم ، فالعلم أصل الأعمال و المشاعر ، فالقرءان كله علم و لا يوجد فيه ما لا فائدة منه و ما لا يعلّم الإنسان و يرفعه .

-.-

إن النفس المتعالية من حيث الهوية قبل كل شئ و بعد كل شئ و فوق كل شئ و عين كل شئ ، بل هي كل شئ ، بل هي و لا شئ ، "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " ، و إنما الخلق هو من حيث الأسماء الحسنى ، و الأمر وحدة فلا تغفل ، فبالأسماء الحسنى خُلق الخلق ، و عوالم الخلق ثلاثة ، الملكوت و ربّه الله ، و الآفاق و يحكمه الرحمن ، و الأنفس و يحكمه الرحيم ، أي العالم مظهر لهذا الاسم، و الكل واحد من حيث الهوية ، و لكن الاسم ليعبّر عن العالم ، فإذا قالت مريم "إني أعوذ بالرحمن منك" فهذا يدل أن ما يقع معها هو في عالم الآفاق الجسماني و ليس في العالم الملكوتي أو النفسي . فقد نظرت إلى الرسول بعينيّ رأسها الجسماني ، و هكذا معرفة الاسم الذي يذكره القرآن في أمر ما يكشف عن أسرار لا يعلمها من لا يعلم حقيقة الأسماء الحسنى ، و هذا سرّ كن كل سورة تفتتح بقوله "بسم الله الرحمن الرحيم" لتتذكر أن كل آية و كلمة لها اعتبارات لتظهر لك العوالم كلها ، فافهم هذا جيدا و اذكره دائما .

-.-

الشئ المركب الذي تريد أن تفهم مكوناته و سرّ تكوينه يجب عليك أولاً أن تنظر إليه نظرة عامة كاملة من حيث تركيبه و هو مركب ، ثم إذا أحطت بمظهره الخارجي و صورته العامة تبدأ تُفكّكه إلى أجزائه المُركّب منها. و تدرس الأجزاء جزءا جزءا ، ثم ذلك يجعلك تفهم أكثر سرّ تركيبه بالشكل الذي رُكّب عليه . كذلك السورة المباركة ، أولا انظر إلى آياتها و عما تتحدث ، آية آية ، و مقطع مقطع ، ثم بعد أن تفهم مقاطع السورة تبدأ بتدبر المقاطع المكونة من آيات أو آية ، ثم بعد أن تفهم الآيت تبدأ بتدبر الآية الواحدة كلمة كلمة ، ثم بعد أن تفهم الكلمات تبدأ بتدبّر الحروف حرفاً حرفاً ، ثم بعد كل هذا ترجع إلى السورة بشكل عام و تنظر إليها ، ووقتها تكون السور قد تجلّت لك بجلالها و جمالها ، و هذا هو الأحسن ، و ليس شرطا أن تقوم بهذا ، و إنما ذكرته لمن أراد أن تكون له طريقة محددة .

———...———

{ سورة الكوثر }

أترى لو أن ملكا فتح خزائنه ، ما الذي يمنعك أن تأخذ منها ما تشاء حتى تصبح غنياً ، إما أن الملك أمرك أن تأخذ بقدر معين فقط و لا تزد عليه ، و إما أنه أذن لك بأن تأخذ ما تشاء و لكن بقدر ما تستطيع أن تحمل ، و إما أن يكون المأذون له أعمى لا يرى الجواهر ، و إما أن المأذون له يرى الجواهر و لكنه مسجون و مربوط بسلاسل و أغلال تمنعه من حرية الحركة فهو يرى و لكنه لا يملك أن يأخذ و يغنى . فاعلم أن الله أنزل كتابه العزيز ، و قد جعله بين يديك ، و فتح لك خزائنه ، و بقدر ما تسأل بقدر ما تُعطى ، فهذا من طرف ربك قد كتبه و فرغ منه ، أما أنت فعليك أن تجتهد لترى الجواهر و لتتحرر من قيودك التي تمنعك من الانتفاع بهذه الجواهر . و لذلك قال " إنا أعطيناك الكوثر " هو عندك ، و لكن كالشمس و إن كانت مشرقة لا ينتفع بها الأعمى و لذلك إن أردت الانتفاع

بها "فصل لربك" لأن الصلوة نور البصيرة ، و حتى و إن أصبحت ترى فهل تنفعك الشمس المشرقة لو كنت مسجونا داخل قبل ، و لذلك "و انحر" الهوى بكل مظاهره السيئة لأنها تقتل القلب كما يقتل السمّ الجسم ، فإن أصبحت من مظاهر الملكوت و الحق ، فإن الذي يبغضك و يكره شؤونك و أعمالك ألا يكون على باطل ، و عابد الباطل لا ذكر له في الملكوت ، و الذي يكره الغرفة التي فيها نور فإنه و لاشك يحب الغرفة المظلمة و لذلك اعلم "إن شانئك هو الأبتر" و أنت الموصول .

-.-

{ إنا أعطيناك الكوثر }

ثلاث كلمات ، الأولى ثلاثة أحرف ، و الثانية سبعة أحرف ، و الثالثة ستة أحرف ، الكل ١٦ حرفا . ١٤ حرفا نورانيا ، و حرفان ظلمانيان "و" و "ث" .

"إنا" عددها ٢٥ ، "أعطيناك" عددها ٣٢ ، "الكوثر" عددها ٣٠ ، الكل ٨٧ .

نزل القرءان ليعبّر عن العوالم الثلاثة ، الملكوت و هو يصفه على ما هو عليه ، و الأنفس و هو يصفه على ما ينبغي أن يكون عليه ، و الآفاق و هو يصفه على ما هو عليه و ما ينبغي أن يكون عليه . فحتى لو كفر الناس كلهم فإن الملكوت و سكانه لن يتغيروا عن حالهم ، و لذلك القرءآن يصف حالهم حتى يكونوا أسوة حسنة للناس ، و أما الأنفس فإنه يصف حال النفوس و كيف تنتقل من الأسوأ إلى السيء إلى الحسن إلى الأحسن ، و أما الآفاق و هوالعالم الظاهر الجسماني فإنه يصف كيف ينبغي أن يكون حال الناس في أعمالهم ، و على أية أساس يبنوا بلادهم ، و هو الأساس الذي يجمع الناس بغضّ النظر عن حالات أنفسهم راقية أم سافلة .

و إن النفس المتعالية من حيث الهوية لا تكون في شئ دون شئ ، إذ لا شئ بدونها و لا شئ غيرها على التحقيق و العيان ، و إنما تحكم عوالم الخلق الثلاثة بالأسماء الحسنى ، فيشبه الأمر ملكا عنده ثلاث بلدان ، جعل ولاية الأولى إلى أحد أتباعه المخلصين ، و كذلك الثانية و كذلك الثالثة كلهم ، و البلدان الثلاثة هم بلدة واحدة داخلها ولاية و داخل هذه الولاية ولاية أخرى ، البلدة الكبيرة الأولى هي الملكوت و حاكمها اسم "الله" ، و الولاية الثانية التي داخل الأولى ، و الأولى محيطة بها ، هي الآفاق و حاكمها اسم "الرحمن" ، و الثالثة التي هي في الثانية و الأولى حاكمها اسم "الرحيم" ، و الولاية الأصغر تبع للولاية الأكبر ، و الولاية الكبرى تبع للملك . و هذا ما ينبغي أن يكون الحال عليه و المقام ، و السوء يبدأ إذا ثار الناس على حاكمهم و رفضوا ولايته ، فوقتها يرسل الملك من يحذرهم و يرغبهم في الطاعة ، فإن أبوا أرسل إليهم من يحذرهم و يخوّفهم من المعصية ، فإن أبوا أرسل إليهم جنودا تمحقهم ، و يجعل بلاده مفتوحة ليسكنها غير هؤلاء العصاة الذين كفروا النعمة .

فالقرءآن ، كتاب الله ، يعبّر عن حكم النفس المتعالية ، و يظهر إرادتها في العوالم الثلاثة عن طريق حاكم الملكوت ، و لذلك سمّي كتاب الله ، و ليس كتاب الرحمن أو الرحيم ، لأن حاكم الملكوت منه تصدر إرادة النفس المتعالية ، و لذلك قال "إنا" بالجمع ، الذي هو ثلاثة فما فوق ، الله الرحمن الرحيم، و هذا سرّ كون "بسم الله الرحمن الرحيم" أول كل سورة لتعبّر عن هذا الأمر .

"إنا" الألف الأولى لم و لا تتصل بحرف جاء بعدها ، و إنما الحروف تتّصل بالألف ، و هذا لأن الملكوت ليس تابعا لأحد كما عرفت ، و إنما الناس يجب أن تتبع الملكوت ، لأن الناقص يتبع الكامل ، فإذا أحسن فإنه يصبح كاملا مثله ، و لذلك يسكن معهم إذا فرغ من الجهاد .

"إنا" الألف الأول عددها ١٢ ، و كذلك الأخيرة ، و بينهم النون و هو النور التام الذي يحوي كل شئ و لا يحيط به مخلوق ، يشير إلى ساعات الليل و النهار ، و النون التي بينهما هي السرّ في قلب المتأله ، و هي مقام و قرار عينه في العين العليم ، فلا يتغيّر بتغيّر الأحوال ، و لا يتلون قلبه بسوء الأقوال و الأفعال، إذ هو في المقام العالي ، و القدس المطلق ، و على هذا كن أيها العزيز ، كن في الله يكن كل شئ لك ، و كن بالقرءان و لا تتغيّر لتغير الناس أو الأزمنة ، و من كان على هذا فليبشر بروح القدس (أقول ، في المخطوطة : الروح القدس و هو غلط) .

إن الله إذا أنزل على أحد نورا ابتلاه على قدر هذا النور ، و جعل له الخيار أيريد أن يصعد إلى السماء أم يخلد إلى الأرض ، فمن آتاه الله مالا كثيرا يُطلب منه على سبيل التخيير مالا كثيرا ، و من أوتي علما كثيرا يُطلب منه على سبيل شكر النعمة عملا كثيرا مخلصا ، و كلمة النور تدل على أي كمال ، جسماني أم قلبي أم عقلي أم مالي ، لذلك قال "إنا" فالألف الأولى ذات الهمزة التي أسفل منها تدل على الإنزال من الأعلى إلى الأدنى ، إذ الملكوت محل النور التام و كل كمال منه و إن لم يدر الإنسان بذلك ، و النون في "إنا" هي النور الذي أوتيه هذا الإنسان ، و الألف بذون أي همزة بعد النون تشير إلى هذا الخيار، أتصعد أم تهوي ، الأمر إليك و لا قوة إلا بالله .

فمن صعد فقد عبد ، و من عبد فقد طوى هواه الذي هو إلهه الأول ، و من طوى العوالم الثلاثة إلى النفس المتعالية و فني فيها و هلك في نار عشقها نودي ، إذ من فني في الذات سمع الكلام إذ الكلام عين النفس ، فإن نكص على عقبه و رجع عن نداء ربه خسر ، و إن جاهد و أكمل السفر و صعد ، نال كلام الله الذي هو الاصطفاء الأعظم ، و من كان الله كليمه فقد أوتي علما كثيرا ، لذلك بعد "إنا" إذا صعد فهي الألف ذات الهمزة إلى الأعلى في "أعطيناك" فهي تشير أنه اختار الصعود ، و هو العابد و هذا حرف العين بعد الألف المهموزة إلى أعلى ، و العابد هو الذي طوى مراحل السفر الروحي ، و هو حرف الطاء بعد العين ، و الذي طوى كل شئ و لم يبق إلا العين الإلهية العلية نوري ، و هو ياء النداء المشار إليها بالياء بعد الطاء ، و من نودي فقد أوتي نورا ، فيجب أن يقع الابتلاء هل يصعد أم يهوي ، و لكنه أخفى من الابتلاء السابق ، إذ السابق في "إنا" ابتلاء ظاهر و هو أخذ الكتاب أم رفضه ، أما هذا فتراه قارئا و مُصلّيا، لذلك قد يخفى عليه أنه في ابتلاء ، و لذلك الألف ليست مرسومة كاملة بل مجرد إشارة فوق النون ، فإن صعد أوتي الكاف و هي رمز كلام الله ، و من كلمه الله أوتي الكوثر و هو العلم الكثير ، إذ ليس للإنسان شأن في غير العلم .

العطاء إما أن يكون بسبب استعداد أو أنه محض اختيار عشوائي ، إن كان من الله رب العالمين ، فالاستعداد كمن يدعو الله أن يعطيه شيئا ، و الاختيار العشوائي كأن يفيق الجاهل الغافل في يوم فيرى نفسه نبيا ، فيشبه الأعمى الذي يريد أن يختار زوجته ، و حاشا المقام المقدس ذلك ، فلا يكون الإمداد إلا بحسب الاستعداد ، فالله يتجلى بكل شئ لكل شئ ، كالشمس ، و لكن حظك من الشمس بقدر تعرضك لها ، أما هي فهي دائما متجلية ، و لولا إعراض الأرض و دورانها أو اختباء الناس لما غالب الشمس بكل ما فيها بقدر ما تحتمل الأرض لحظة واحدة .

قد يكون الكامل من إذا أعطوا نقصوا ، و الناقص يريد أن يأخذ ليكتمل ، أما العظيم فهو الذي لا يحدّه شئ فهو أعلى من كل شئ و في كل شئ فإنه مهما أعطى فلا ينفد ما عنده و لا ينقص في نفسه ، لأن كل شئ فيه ، فهو يعطي مما عنده لنفسه فكيف ينقص أو ينفد ما عنده ، و عطايا العظيم هي من معلومته ، إذ هو يعلم كل الممكنات و الاحتمالات ، و خلق ما أراد منها ، فإذا أراد المخلوق أمر ما ، فإنه و لا شك سيتصور ما يريد ، و إن تصوّر ما يريد فهذا الذي يريده يدخل في حير الإمكان ، و كل ممكن فإنه معلوم لله ، و لذلك لا يسأل أحد الله شيئا إلا آتاه إياه ، إن سأل عن علم ، إن سأل عن جهل فإن الله يؤتيه خير مما طلب حتى يرضى ، و العظيم يعطي فقط و لا يأخذ شيئا و لا يمكن أن يأخذ شيئا ، لأنه لا يأخذ إلا الناقص الذي يريد أن يكتمل بهذا الأخذ ، فالعظيم اللامتناهي الواحد يأخذ كيف ، أم يأخذ ممن ، ممن هم فيه و به ، أما المخلوقات فذاتها الأخذ ، هي فطرتها ، أن تأخذ ، فالعظيم يعطي فقط ، و المخلوق يأخذ فقط في أصل فطرته ، و الإصلاح هو أن يصبح بدل أن يأخذ أنانيته لنفسه يصبح يأخذ لنفسه و ليعطي الآخرين ، و كلما أصبحت تأخذ من الناس أقلّ و تعطي أكثر صرت تتقرب رلى الله أكثر.

أليس أعطاه الكوثر ثم أمره أن يصلّي له ، أليس هذا أخذ ، لا أيها العزيز ، لأنه يقول له ، فصل لربك حتى تنتفع و يصلك هذا الذي أعطيتك إياه ، كما في مثل الشمس الذي ضربناه ، فالشمس إذا تكلمت و هي تتكلم و لكن من يسمع ، لقالت للناس ، إني قد أعطيتكم نوري فمن أراده فليخرج من بيته أو فليفتح نافذته و يبعد الستارة عنها . ولماذا لا يصل النور بدون جهد الناس ، حتى لا يتساوى المجتهد و الكسلان ، و الفاضل و السافل . و لماذا توجد هذه الزوجية ، حتى نعرف الواحد المتعالي عنها . و لماذا تعرف الواحد المتعالي ، هي محض نعمة و قمة السعادة .

إن القرءان لم يقل " إنا أعطيناكم الكوثر " و لكن أفرد و خصص "إنا أعطيناك" لماذا ، إذن الكوثر ليس لكل أحد ، و إنما لأناس اختصّهم الله ، من هم هؤلاء ، هم من يعلمون بقوله " فصل لربك و انحر " .

بما أن الجزاء من صنف العمل ، فما الذي عمله الإنسان حتى يجازيه الله بالكوثر ، لا شك أنه أعطى ، ما هو الشئ الذي إذا أعطاه الإنسان أعطاه الله الكوثر و لمن يعطي هذا الشئ ، أقول أعطى كل وقته للصلوة و التأمل في الله و إخماد نار الشهوات بماء الذكر ، فالذي يعطي حياته لله يعطيه الله من حياته ، و حياة الله هي روحه ، فمن جرّد نفسه من كل ما سوى الله و ذكره و التفكر في أمره أعطاه الله من روحه ، و آية ذلك أن يرى ذكر الله أهم من التنفّس ، و أن يبتسم لكل أحد و يتواضع حتى يكون كالتراب ، و يكون بسيطا في كل أموره ، و مبدعا في علمه و عمله ، إذ من أحب الله تشبّه به ، و الله أحسن كل شئ خلقه و أتقنه .

إن الله أعطانا الأيام السبعة ، الأسبوع ، لنذكره فيه و نشكره ، و لذلك قال "أعطينك | و هي سبعة أحرف ، و حرف الكاف ، كلام الله ، هو اليوم السابع ، السبت ، فإن كانت شمس الوحي تبدأ بالإشراق من أول الأسبوع ، فإنها في يوم السبت تكون كشمس الظهيرة ، لذلك فصّل الله فيه ما فصّل ، و أمر فيه بما أمر ، و لما جعل "الكوثر" بعد الكاف ، نعلم أنه لا حظ لمن لا يحفظ السبت في القرءآن .

بما أن القرءان قال "الكوثر" و لم يقل "كوثرا" ، فالفهم أنه أمر معروف كبير شامل ، فلا يخرج منه شئ ، إذ الألف و اللام تشير إلى الاستغراق في المعنى، و تشير كذلك إلى التفرد في النفس ، كقوله "الجنة" ، و بما أن جذر كلمة "كوثر" هو كثر ، تشير إلى الكثرة ، و هنا زيادة تأكيد على ما تشير إليه أل التعريف و الاستغراق ، و بما أن العطاء هو من الرب نفسه بحكم أسمائه الحسنى الثلاثة ، و هي أسماء الحكم ، حكام العوالم ، بل حاكم العوالم ، فإن الكوثر متعلق كذلك بالملك ، إذن "الكوثر" هو الملك الكبير المحيط العظيم .

آعظم ملك أن يحتوي الملك على ما يملك بحيث لا ينفك عنه بحال ، أما كالذي يزعم أنه يملك دابة أو بيت من حجر فما أسرع زوال مثل هذا ، و على التحقيق ليس مُلكا و لا صاحبه ملكا ، و الملك إما يكون على الغير أو على النفس ، و ملك الغير من الناس فرعنة و طغيان لا ينبغي للعبد الفاني ، و لا يقدر على مثل هذا إلا بأعمال السفك في الدماء و نشر الجهل بالله و أمره ، و فليس هذا بملك لائق بأن يكون عطية الرب العلي مالك الملك ، و ملك الدواب و الحجارة وهم مؤقت ، يكاد يفنى بدنيا أو يزول عنك بموت ، فليس هذا بملك عظيم بل ليس بمُلك على التحقيق ، إذن لم يبق إلا مُلك النفس ، و لكن كيف يملك الإنسان نفسه ، ألسنا كلنا عباد الله و ملكه ، نعم أنت ملك لما لا يملكك أحد من الخلق و أوهامك و خيالاتك السيئة ، عبد الله ملك ، فالكوثر يجعلك الله به ملكا بحق .

يقول سليمان " رب اغفر لي و هب لي ملكا " فقال الله " هذا عطاؤنا فامسك أو امنن " ، فعطاء الله هو للذين يسألونه فقط ، بلسان المقال أو بلسان الحال الصادق ، و أحسن سؤال ما كان مقاله ترجمة لحاله ، و الذي أوتيه سليمان هو فهم عظيم للأمور ، فكلمة فهم لم ترد في القرءان كله إلا مرّة واحدة في قوله "ففهمناها سليمان" ، و ليس فهم أعظم من فهم كتاب الله الذي فيه كل شئ ، و هو باب المدينة المقدسة ، و هل بعد العلم بالقرءان و الله يقول "قل كفى بالله شهيد بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب"، فالتوراة ظاهر باطنه الإنجيل ، و رمز الذي فهم التوراة هو عيسى ، فقد أوتي البينات و هي تأويل التوراة ، كما قالوا عن يوسف أنه جاء بالبينات و هو لم يأت بغير تأويل الأحاديث ، و أيده الله بروح القدس (أقول هكذا في المخطوطة صحيحة "روح القدس")، و هو الذي يفهم اله به المخلصين كتابه ، فإذن الكوثر هو روح القدس (غلط "الروح القدس" في المخطوطة) مُفهّم القرءان و الذي يهدي الأولياء إلى العلم الذي فيه و حكم الله الذي يرضيه ، و سُمّي الكوثر لأنه يؤتي من الفهم الشئ الكثير في الوقت القليل ، فالذي يحتاج إليه أهل العقول لفهم أمر من أمور القرءان سنة ، بروح القدس يفهم الولي في ثانية ، إذ " و ما أمرنا إلا وحدة كلمح بالبصر " أو هو أقرب ، و من خبر عرف .
" الكوثر " أربعة أحرف نورية ، و حرفان ظلمانية ، و هذه هي النسبة الصحيحة ، إذ في الحيوة الدنيا ، أي حين تكون الغلبة لطُلاّب اللعب و اللهوم و التكاثر ، النسبة هي اثنان لواحد لصالح أهل السوء ، لقوله "غير المغضوب عليهم و لا الضآلين " و أهل النور " أنعمت عليهم " ، أما في الحيوة الآخرة ، أي حين تكون الغلبة لطلاّب الملكوت و العشق الإلهي ، تصبح النسبة اثنان لواحد لصالح الروحانيين ، لقوله "السابقون السابقون أولئك المقربون" و "أصحاب اليمين" ، مقابل "أصحاب الشمال" ، فإذن إذا وجد في بيت أو بلدة أو دولة أن ثلثي عدد أهل البيت يطلبون الملكوت فهذا بيت من الآخرة و الجنة ، و إذا صار ثلثي أهل بلدة ما يزهدون في اللعب و التكاثر الجسماني الشيطاني و يتعلمون القرءان بروح الله فهذه بلدة يحكمها الله نفسه ، و إذا أصبح العالم و ثلثاه يريدون

وجه الله و الفناء فيه و الحياة به ، إذ هم أصلا به ، فعدنها يكون قد تحقق وعد الله في العصر المسيحي ، جعلنا الله و إياكم ممن يحيون بين أهل هذا البيت و البلد و العالم .

عدد كلمة "الكوثر" ثلاثون ، و هو رمز على الشهر ، الذي هو من الإشهار ، أي إظهار و إعلان أمر عظيم مشهور معلوم ، والحرف الثلاين في السورة هو حرف النون في "إن" و هو رمز النور التام ، إذ عدده واحد ، و هو من "ن و القلم ". و لقوله " و الله متم نوره و لو كره " الذين لا يؤمنون بروح القرءان ، الذين أصبحت قلوبهم كالحجارة لا ترى إلا شئ واحد ميت ، فإذن الكوثر هو النور التام الذي أعلن و سيعلن للعالمين ، و هو وعده الصادق "ليظهره على الدين كله" إذ لا يختلف الناس إلا بالأجسام ، أما أهل الملكوت فمتوحدين ، و هي نبوة عن يوم يمحي روح القدس فيه كل الأسماء التي فرّقت الناس و يصبح الكل يرجع إلى الله وحده بنفسه ، فيظهر العلم لأكثر الناس حتى لا يستطيع كاهن أن يدلس على الناس، حتى أجهل العوام منهم يكون ممن يجادل المبطل كأحسن العلماء الظاهرين اليوم أمام الناس في دولة حكم الطاغوت ، و لكن عما قريب سيتحقق وعد الله و يحكم الملكوت بنوره التام العجيب إذ "أليس الصبح بقريب" .

هذه الآية هي أول آية من أول سورة من الوحي الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه و آله الذين أيدهم الله بروحه ، و بما أنه في الدائرة نقطة البداية هي عين نقطة النهاية ، فإذن كل القرءآن هو في هذه الآية ، من حيث الأصل ، و هي ثلاث كلمات ، إذ ليس ثمة إلا ثلاثة أمور ، المُعطي و المُعطَى و ماذا أعطاه ، المُعطي هو الرب و المُعطَى هو العبد و أعطاه العلم الذي به يصير ربّا ، فبالعلم الذي ينزله الله يصير العبد ملكاً، لذلك قال عن الجنة "في مقعد صدق. عند مليك مقتدر" و لم يقل "عند الملك المقتدر"، إذ بهذا يصبح لا يوجد إلا ملك واحد ، و لكن قوله "عند مليك" يدل على أنه سيجعلهم ملوكا، و ليس هذا إلا بالتوراة، فإذن إنما أنزل القرءان ليصبح الناس ملوكا ، و القرءآن تاج المُلك يُلبسه الله لمن لا يرى أحدا سواه و لن يرى الحيوة إلا له و لا يجعل محورا لحياته إلا القرءان ، و هل بعد هذا من عطاء.

عدد كلمة "أعطيناك" هو سبعة أحرف، تشير إلى يوم السبت، يوم الوحي التام، فإن كان الله يعطي ذهب و فضة خلال أيام الأسبوع، فإنه يعطي لؤلؤ او مرجانا في يوم السبت. و هو أيضا عددالكمال ، إذ كمال الخلق و الأمر سبعة أيام ، ستة خلق و واحد "ثم استوى على العرش" لعلّم القرءان الذي هو الأمر، "الرحمن علّم القرءان" "الرحمن على العرش استوى"، و كمال الإنسان في ثلاثة، الجسم و القلب و العقل، القلب بذكر الله، و العقل بالتفكر في خلق الله، و الجسم بالصلوة لوجه الله و حسن التغذية و الرياضة ، فلن يؤتى العطاء الأحسن إلا من كان في نفسه على أحسن وجه ممكن له .

إخفاء الألف في كلمة "أعطينك" يدلّ على خفاء الواحد الذي يُعطي، فما أكثر ما يضلّ و يشرك المرء بسبب هذا، يأتيه أمر ما ، أو فكرة ما ، أو يظهر على لسانه علم ما ، فيقول "إنما أوتيته على علم عندي"، فلا يكون هذا قول المتأله ، و إنما يقول "ما شاء الله لا قوّة إلا بالله"، و يقول "سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم"، و السرّ في خفاء يد المُعطي هو أنه أظهر من الظهور نفسه، كمثل النور من شدة ظهوره و قربه لا تراه، و عطاء الله في القلب من عين القلب "و نحن أقرب إليه من حبل الوريد" لذلك الذي لا يرى إلا الأجسام أو تغلب

عليه رؤية الأجسام لا يفقه عطاءً لا يرى يد صاحبه أمام عيني رأسه، نعوذ بالله من ذلك ، أليس لو كان هذا العطاء من نفسك لكان لكان يجب أن يكون ظاهر لك دائما بنفسك، إذ العطاء الذاتي لا ينقطع لأنه من لوازم الذات، و من رحمة الله أن فرّق بين الكشف و بين التعلم البشري بأنه عكسه، فالكشف أن يؤتيك النتيجة ثم المقدمات ، أما التعلّم البشري فهو تدرّج من المقدمات إلى النتيجة، لذلك لما يعطيك حكمة أنت موقن بالقلب أنها حق، و لكنك ما زلت لا تعلم برهانها من العقل، فلما يأتيك البرهان أو تنتزعه أنت بتأملك وقتها يظهر جلياً أن الحق هو الذي أعطاك الحكمة، ثم إن المتأله لا يرى إلا يد الله ، فليس ما ذكرت من الخفاء إلا لمن ما زال يرى بعين الاثنينية، أما المخلص فلا يرى إلا من الله و إلى الله و بالله و لله ، و لا حول و لا قوّة إلا بالله .

من قوله "أعطينك الكوثر" يتبين أنه على المرء أن ينظر في حاجة المعطي ثم يعطيه بسبب حاجته، لا بحسب ما يشتهي المعطي نفسه، فالعالم عليه أن يُجيب عن مسائل الناس أكثر من أن ينثر عليهم من علم هكذا بدون أن يسأله أحد، كالطبيب ينظر في حالة المريض ثم يعطيه الدواء بحسب مرضه و حاله، أما العالم الذي يشتهي الحديث عن أمر ما و يكون لم يسأله أحد هو كالطبيب الذي كان يدرس خصائص دواء معين فلما جاءه مريض وصف له هذا الدواء، أتريد أن تقتله، لذلك قال الله "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" و لم يقل لعلماء القرءان أن يذكروا ما عندهم بدون حاجة المستمعين إلى هذا العلم ، لأن السؤال يفتح نافذة القبول في قلب السائل، و لا بأس أن يحرّض المستمع على السؤال، كقوله "هل أتاك حديث موسى" فإن المرء يقول رأسا "لا ، ما هو حديث موسى" فعندها تكون نافذة قلبه قد انفتحت لقبول الإجابة. و لذلك قدّم المُعطى على العطاء نفسه، فتخلّق أيها العالم بأخلاق الله.

إذا أخذ أحد كأسا وملأءه من ماء البحر ، أليس يكون الماء الذي في الكأس عين ماء البحر، إذ هو من ذاته ، و هل ترى أن نور الشمس منفصل عن جرم الشمس، أليسوا واحد من حيث الاتصال، و لذلك قال يبينّ سرّ القرءان "إنا أعطينك الكوثر" ، فالقرءان منه فهو متصل به ، فإن تلا أحد القرءآن فإنه يتصل بنفس الروح الأعظم، سيد الملكوت مظهر اسم الله ، فتلاوة القرءان و تعلّمه هي اتصال بالله، لأنه من عين شمس الله و به و لا ينفصل عنه كما أن نور الشمس لا ينفصل عنها.

" و فوق كل ذي علم عليم" .

-.-

{ فصل لربك و انحر }

ثلاث كلمات ، اثنا عشر حرفا ، عددها "فصل" ١٥ و "لربك" ١٨ و "و انحر" ٢٥ أي ٥٨.

ما معنى هذه الفاء ، إذ الله يعطي و لا يأخذ من أحد شيئا ، فالفاء لا يمكن أن يكون معناها "كما أنّا أعطيناك الكوثر فجزاءً لنا على هذه النعمة يجب تصلي لنا" ، فالفاء هي لإظهار أنه إن أردت أن تأخذ الكوثر عليك أن تصلّ لربّك و تنحر ، فهذه الفاء هي من أكبر ، إن لم تكن أكبر مظاهر العمل في عوالم الخلق ، و دليل أنه ليس يُعطي المرء إلا ما يستحق من الله ، فمن أصابه شرّ فإنه قد جلبه على نفسه و من أصابه خير فالحمد لله وحده .

ما هي الصلاة ، "فصلّ" هي "صل" بدون الفاء ، و "صل" هي من الصلة و تفيد إقامة صلة بين المصلّي و المُصلّى له ، و إقامة الصلة دليل على عدم وجود هذه الصلة ، فلا يمكن أن يكون المقصود "لربك" أي النفس المتعالية، إذ لا ينفصل عنها شئ حتي يتّصل بها ، و هل هناك شئ ليس بها و فيها حتى يتصل بها ، " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" ، فقوله "لربك" هو الروح الأعظم حاكم الملكوت، يقول "و جاء ربك و الملك صفا صفا" و قال "يوم يقوم الروح. و الملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن"، فالرب هو الروح الأعظم، لأنه هو المربّي و المُعلّم و المعطي بما جعله الله المتعالي فيه و له، و ليس كل أحد متّصل بالملكوت، حتى و هو حاضر في كل مكان، كما أنه ليس كل أحد يستفيد من الشمس حتى و هي حاضرة مشرقة في كل مكان.

الإنسان قلب و عقل و جسم، و الجسم من عالم الآفاق، و القلب من عالم النفس المتعالية، و العقل من الملكوت، و بما أن الصلوة هي للملكوت إذن وسيلة الصلوة هي العقل، هذا على التحقيق ، فالعقل هو المُصلّي.

و العقل يفكّر ، ليس له غير ذلك ، و التفكير يكون إما في خلق الله ، كالسموات و الأرض ، أو في كتاب الله ، كالتوراة و القرءان ، و هذا العقل الراقي، و بما أن التفكير في خلق الله هو للاعتبار و فهم حقيقة الخلق و شؤونه و معرفة أمر الله بالنظر فيه بحق، و كان كتاب الله هو المترجم لخلق الله، يرى المرء أنه من الحسن جمع خلق الله و كتاب الله في كلمة واحدة هي كتاب الله، و القرءان أعظم كتب الله، فإذن العقل الذي يفكّر في القرءآن هو المصلّي و تفكيره و تدبّره هو الصلاة .

فقوله "فصلّ لربّك" معناه تدبّر القرءان لربك ، واللام في "لربك" معناها إلى أن تصل إلى ربك في التدبّر، إذ القرءان ظاهر آفاقي ، فالاعتبار الأول هو للوصول إلى النفس ثم إلى الملكوت ، ثم الاعتبار الأعظم و هو الوصول إلى الرب الأعلى العظيم، و لا يجوز تجاوز الملكوت إلا بعد العمل بمقتضاه، أي مقتضى الملكوت، لأن عالم الهوية لا يقربه لسان على التحقيق إنما هو تذكر محض، فليس للإنسان شأن في الهوية و إنما في النور ، الملكوت ، و بديهي أنه من مشى في عالم عليه أن يفهمه و يعمل على إصلاح هذا العالم منه، و إلا فلا يقبل منه ذلك التعمق في العلم إن كانت عوالمه فاسدة، فإذن "فصل لربك" معناها تدبر القرءان و تعمق فيه حتى تحيط بالعوالم و تعرف حكم ربك و تقيمه في نفسك و تدعو الناس إلى ذلك . "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة".

لا حظّ في الجنّة لمن لا عقل له و و لو فعل ما فعل و قال ما قال . "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا".

القرءان آيات العقل . و ليس للقلب إذ القلب قدس في نفسه و إنما يُسيئ إليه أحد أمرين : جهل و هوى البهائم ، لأن القلب هو مرآة النفس المتعالية ، التي خلقها الله و خلق كل شئ ليرى نفسه فيها، و أفكار السوء و أعمال السوء هي كالسواد و الغبرة على وجه المرآة المقدسة هذه ، و لذلك جاء الوحي بجعل الأفكار مقدسة و الأعمال مقدسة فتصبح المرآة مجلوّة ، فيتجلى الرب كما شاء ليرى ما يشاء متى يشاء، و لهذا خلق الخلق.

فقوله "فصل لربك" هو تقديس للعقل، و قوله " و انحر" هو تقديس للجسم، فالنحر قتل البهائم و ذبحها و القضاء عليها ، و البهائم هي شهوات الجسم ، البطن و الفرج و الراحة السيئة ، أي الكسل ، و أمنيات الجسم و شهواته

هي التي تنجّس العقل و هي من أكبر أسباب نجاسته، إذ الذي يُكثر من الجلوس عند المزابل يوشك أن تصير رائحته كرائحتها. و من هنا تنعكس سيئات الجسم إلى باطن الإنسان، على عقله و تشوهه بقبحها، و لقطع هذه الأمنيات قال الله "و انحر"، لتعلم أن الأمنيات هذه و الآمال لن تنتهي أبدا، فالذي يظن أنه إذا ارتكب الشهوة مرّة أخرى سوف لن يفعل ذلك بعد هذه المرة هو مخطئ ، لأن الشهوة كالنار لا يطفئها الوقود بل الماء، و ليس ثمّ سبيل إلى قطع هذه الشهوات و عدم التفكير فيها أصلا ، و من أجل ذلك شرّع ما شرّع من أجل حفظ قدسية النفس عن مثل هذه المساوئ و اقتصر على الضروري منها و ما يجلب الصحة و لا يسئ إلى الباطن.

قوله "لربك" يشير إلى الإخلاص، فمعنى "فصل لربك" أنه يوجد من لا يصلي لربّه ، فلماذا يتدبّر القرءان إذن ، إنه يتدبر فيه من أجل أن يقال عالم فيأخذ مالا من الناس، يتدبر فيه ليعلم كيف يحيك الدسائس لإضلال عامة الناس و التحكم فيهم، يتدبر فيه لأنه يريد أن يدخل الجنة بعد أن يموت و هذا أدق الشرك، و لكن أثره عظيم، إذ كيف يتعلم المرء ليموت، و إنما التعليم حياة ، فالمصلّي بحق يتعلّم من الله لأنه لهذا و مثله قد خلق ، لأن كماله في هذا ، لأن الله يرضى أن يعطي مثل هذا العاقل و يحب ذلك ، إذ ليس عطاء أعظم من العلم، و الله يحب أن يُعطي، و كلما طلب منه الإنسان أكثر و أكبر كان حبّه لهذا العابد أكثر و أكبر، ألست تحبّ من يحب أن يعمل ما تحبّ، فتعلّم الكتاب غاية في نفسه لا ينتظر بعدها غاية، و إن كان فهي من فيض عظمة و بركة تعلّم هذا الكتاب ، و هذا هو العمل الخالص للرب.

قوله "فصل" يظهر بدون الفاء أنها "صل" ، و كون الصلاة ذكرت بحرفين يشير إلى أنه على الأقل يجب أن يجعل المرء في يومه وقتين للصلاة، و بما أن اليوم ليل و نهار ، فليجعل وقتا في الليل و وقتا في النهار ، و أحسن وقت في الليل وسطه و أحسن وقت في النهار أوله ، لذلك لم يذكر في القرءان صلاة مقرونة بوقت إلا مرّتين " صلوة الفجر" و "صلوة العشاء" ، و بما أنه كلما زاد تدبّر العاقل في ملكوت الله زاد ملكه و قدسيته في العوالم كلها، فهذين الوقتين هما الحد الأدنى الحسن لكل مؤمن بالله و كتابه ، ثم يزيد بعد ذلك ما شاء الله له بشرط أن لا يكون عالة على الناس في أمر معاشه بل يعمل ما يكفيه و أهله و ينفع الناس و المجتمع الذي يسكن فيه ، إذ كما أنهم يعملون له ما ييسر عليه حياته كذلك من العدل أن يعمل هو ما ييسّر عليهم حياتهم ، و هذا من صميم عطاء القرءان فافهم . ثم بعد ذلك تأمل حتى تتفجّر الأنهار منك تفجيرا.

لماذا ذكر الصلوة قبل النحر ، لأن من لا يأكل الطعام الحسن فإنه و لا شك يأكل الطعام السئ ، إذ لابد له من الأكل ، فكل إنسان له أمر يحبّه و يريد أن يكون عنده هذا الشئ المحبوب ، و هو يدفع كل ما يقدر لجلب هذا المحبوب ، فمن لم تكن أساس سعادته هي السعادة الباطنية الروحية فلم يبق إلا أنه جعل أساس سعادته السعادة الجسمانية ، و ليس سعادة الجسم على هذا الاحتمال إلا شهوات البطن و الفرج و الراحة ، و عندما يكون ذلك هو همّ الإنسان فإنه يعمى عن الشهوة الباطنية العلمية ، إذ لو كانت الدنيا و الآخرة يصح أن يجتمعا لصح أن يجتمع الليل و النهار ، و لجمع الله ذلك لنبيّه عليه السلام ، و لكنه قال " و للآخرة خير لك من الأولى" ، فلكل امرئ أساس للسعادة جعله لنفسه واختاره بإرادته ، علم ذلك أو لم يعلمه ، و أن تكون سعادة بهيمية لا يليق ذلك بالإنسان ، فيجب أن تكون السعادة أصلها السعادة الإلهية ، و لن يستطيع أحد أن يختار الإلهية على البهيمية

إلا بعقله الواعي المستنير بالملكوت ، رذ لمّا يتذوق لذة الملكوت سيزهد في أسفل سافلين ، و لذلك قال "فصل لربك" ثم "و انحر" لأن تدبر القرءان سبب التعالي عن شهوة الحيوان التي بها يتحقق قدر الإنسان .

لماذا جعل الصلوج المقبولة هي المقرونة بقوله "لربك" أما النحر فأطلقه ، و لم يقل " و انحر لربك " مثلا ، لأن تعلم القرءان إذا لم يكن لوجه الرب فإنه لوجه الأنانية و الشيطان و الدنيا ، و هذا مُخرج له عن غايته، و بذلك يتنجس العقل و القلب أكثر من لو لم يقرب القرءان أصلا ، إذ ما أسوأ حال الذي يصل إلى نهر الحيوة و لا يزال ميتا ، بل يكون نهر الحيوة سببا لموته ، هذا لن يذوق الحيوة أبدا ، أما النحر فإنه لنجاة النفس و رقيّها ، فأنت تصلي لربك و لكن تنحر لنفسك ، و لم يذكر كلمة "لنفسك" بعد "و انحر" لأن من نحر الشهوات ألا ترى نفسك و تختفي بل تهلك أنانيتك، و تصبح معطاءً لوجه الله لا تريد جزاءً و لا شكورا، فالزهد في الدنيا ، اللعب و إخوانه ، هو من صميم الإنسانية، و كل شئ بمقدار.

إن أول حرف في الآية هو الفاء ، و آخر حرف هو الراء ، تجعل الكلمة "فر" ، و هذه الكلمة هي أجمع كلمة تصف ما تعلّمه الآية المباركة ، بل و كل ما يمكن أن يعلمه أحد للوصول إلى الحق و النزول به. ألا تراه يقول "ففرّوا إلى الله" و ذكرت الآية مرّتين ، و هنا أيضا أمرين، الصلاة و النحر ، و العوالم الأربعة ، النفس المتعالية و الملكوت ، و هي النور ، و الآفاق و الأنفس و هي ظلمات بنفسها ، و الفرار من الأنفس هو إلى الملكوت ، و الفرار من الآفاق هو إلى قمّة التجريد كما أن الآفاق قمّة التجسيم، و هو إلى النفس المتعالية ، و أيضا فرار النفس يكون إلى النفس المتعالية بالفناء فيها ، "كل شئ هالك إلا وجهه"، و فرار الآفاق يكون إلى الملكوت لأن الآفاق قمّة الظلمات و الملكوت قمّة النور، و سبب حكم الملكوت على الآفاق هو عبادة الإنسان و مهتمه، فكلمة "فر" هي الدين كله.

تقديم الصلوة على النحر يدلّ على وجوب تقديم الباطن على الظاهر . ففي الإصلاح يجب أن يتم من عمق أفكار الإحسان و مفاهيمه، ثم إلى الظاهر بالعمل الصالح، و لذلك قال "لا إكراه في الدين" ، فمن باب أولى لا إجبار الدين ، و لذلك قدّم الله الغيب على الشهادة . كل هذا ليعلم الناس أن الإصلاح و الأولوية هي للباطن ، و أن لا فائدة في حركات ظاهرية و أحكام و ما إلى ذلك إن كان فكر الإنسان لا ينتج هذه الأعمال بنفسه ، فأيما رجل عمل عملا لا ينطلق لعمله هذا من فكره و باطنه فعمله عبث و كل ما يقوم به عبث، و قد يكون العمل عن أن يلقى في القلب هذا ليس من العبث، و إنما أظهر مثل على هذا هو الذين يقومون بطقوس و يتبنون مذاهب لا يفقهون شيئا فيها، و لذلك ترى الإخلاص منعدم عند أمثال هؤلاء الذين يعكسون سنة الله، و أمثال ذلك أيضا الكهنة و أشباههم الذين يكون كل همهم أن يعمل الناس أمورا معينة أو يتركوا أعمالا معينة ، و لا يهمهم فهم الناس. و أن يتركوا الحرية للناس في البحث و الاختيار، أما هنا فالله يعلم أن التأمل هو سبب الترك ، التأمل هو سبب الترك و البعد عن الشئ، و البعد عن شئ يلزم الأخذ بشئ آخر، فإذن التأمل هو سبب العمل ، و إلا فهو عبث .

و قوله "فصل لربك" بناء على ما سبق يجعل التأمل المعتبر هو الذي يبحث صاحبه عن إرادة الله لكي يعمل بمقتضاها ، و هو كل إنسان يحب ربه و يريد أن يعمل بإرادته فإنه لا يرضى بأن يقول له الناس هذا صحيح و هذا خطأ ، بل يريد أن يتأكد أن إرادة الله هي في هذا الفعل أو الترك ، و بحسب شدة الرغبة يفتح الله لعبده من باب العلم بالإرادة، فمنهم من يفتح له في كتابه، و منهم من يزيد على ذلك بأن يعرفه الأمر في قلبه، و منهم من يسير

على قاعدة الأخذ بالنفع إذا غلب و ترك الأضر إذا ظهر، و منهم من يسير على قاعدة اعمل ما تحب أن يعمل لك و اترك ما تكره أن يعمل فيك ، و من جمع له الله هذه الأربع فهو الأكمل في معرفة إرادة الرب ، و هذا أعظم الرسل.

قوله "فصل لربك" يشير إلى أنه يأمره أن يصل إلى ربه أو قل يصل لربه، و الرب هو الذي يدبر و يملك، و المرء مملوك لمفاهيمه، إذ كل أعماله و مشاعره مملوكه لمفاهيمه عن الأشياء، فهنا يعلمه الله أنه على الإنسان أن يبحث و يتعمق في الأمور حتى يصل إلى جذورها التي تنتج هي عنها، و لا يرض بأن يكون سطحيا، و يعلّم إن الإنسان إذا وصل إلى المفهوم، مفهومه عن الأمر المعين، عليه أن يبدأ الإصلاح من هناك، و ينحر هناك، كذلك كل عمل سئ أو شعور سئ إذا حلله الإنسان و وصل إلى جذره، سيرى أنه من هناك يستطيع أن يغير هذه الجذور، بأن يقتلع القديم و يجعل بدلا منها جذورا جيدة حسنة، و سيرى أن الأعمال الصالحة و المشاعر العلية ستكون سجية له ، بلا كره و لا تكلّف ، و كثيرا ما يقع الإنسان في السوء ، و يشعر به ، و يكرهه و لا يعلم سبب ذلك ، بل لعله يظن أن هذا حكم الله فيه ، و يلقي اللوم على العزيز الجبار ، و ما أبعد هذا عن الصواب ، لأنه لو حلل لوصل إلى الحل ، و لكل أثر سبب إذا تغيّر السبب تغيّر الأثر ، و المفاهيم سبب الأعمال و المشاعر ، و باستطاعة الإنسان اختيار مفاهيمه ، و الله المستعان .

الآية تتكون من ثلاثة أحرف ، ثم أربعة أحرف ، ثم حرف واحد ، ثم أربعة أحرف . و هذا تدرّج في تعلم الإنسان و تعليمه . إذ أوهل ما يجب أن يتعلمه الإنسان هو نفسه ، أي قلبه و عقله و جسمه ، أو جسمه و عقله و قلبه ، ثم يتعلم العوالم الأربعة ، النفس المتعالية و الملكوت و الآفاق و الأنفس ، ثم يتعلم أن يتذكر أن هذه الأربعة هي وحدة تامة ، إذ الهوية العلية هي كل شئ و عين كل شئ و أعلى من كل شئ. فلا يضيع و يتفرّق في كلمة أربعة ، بل ليعلم أن الأمر كله وحدة في حقيقته، و هذا هو سرّ الأمور، لذلك كان حرفه الواو ، لأن الواو حرف يرمز إلى السر "هو الذي يعلم السر في السموات و الأرض" لأن سرّ الأمور هو العامل الخفي الجامع بين كل الأمور، الوحدة الحقيقية وراء الكثرة المعقولة و المرئية ، ثم يرجع إلى حقيقة العوالم الأربعة ، و يعمل على إصلاح ما ينبغي إصلاحه ، و السعادة في مقام المعرفة و المشاهدة.

كلمة "انحر" كل أحرفها نورانية ، فالفهم أنه لا يترك أحد عمل شئ إلا إذا أخذ عملا حسن ، أحسن منه، كذلك لن يترك أحد لذة إلا إذا أخذ عوضا عنها ألذ منها، فالذين يدعون الناس إلى ترك الشهوات أو الأعمال السيئة ، أو ترك الغش و الكذب ، و لا يعطيهم أحسن منها ، بأن يفتح لهم باب الشهوات الروحية ، و يكونوا على حال يستطيعون فيها أن يعملوا الأعمال الحسنة، كأن يكون ما حولهم يثير فيهم حب الأعمال الحسنة، و المجتمع القائم على العدل، و لا يوجد فيها طواغيت و أهلهم يريدون أن يستعبدوا الناس، و ما أشبه، و أن تكون حالتهم في معاشهم حسنج، لأنهم لو كانوا فقراء و محتاجين، و يخشى كل منهم أنه لن يستطيع أن يطعم أبناءه، ثم يسمع من يدعوه إلى الملكوت و ما شابه، فإنه سيسمع بأذن و يخرج الحديث من الأذن الأخرى، إذ لن يسعى أحد إلى كمال عقله و باطنه إلا إن كان عنده ما يكفيه و أهله من حيث ظاهره، و إلى هذا أشار لما جعل في سورة الكهف قصّة أصحاب الجنة قبل أصحاب السفر للتعلم، فمن افتقر كفر، هذا حكم أكثر أكثر الناس، و لعله لا ينجو من ذلك إلا واحد في كل مصر أو أعزب وحيد يسكن وحده و يكفيه قوت يومه، أو أكلة في كل بضعة أيام، و ظاهر أن دعوة الله ليست للواحد و الأعزب فقط، فلذلك أيما مجتمع أهله في فاقة و ظلم يجب أن يصحح من يستطيع هذا الوضع

قبل أن يحثّهم على الأمور الروحية، إلا إن كانت الأمور الروحية من الأسباب التي ستجلب لهم هذه الأمور ، فعندها لابد من ذلك. و تأمل أن الله لم يقل لموسى "ثوّر بني اسرئيل على فرعون" و لكن "اذهب إلى فرعون" فأوّل من يعاقب على ظلم الناس ليس الظالم و إنما من يستطيع أن يردع الظالم و لا يفعل، و هؤلاء البطانة هم أوّل حطب جهنم يوم القيامة، إذ لولاهم لما تفرعن فرعون، أنّى له ذلك و هو رجل واحد ، بل لعله أضعف الرجال.

بدأت الآية بحرف الفاء ، و ختمت بحرف الراء ، و الفاء حرف ظلماني تام ، و الراء حرف نوراني عدده خمسة . فالفهم أن الترقي الروحي الأكمل هو أن يكون الإنسان في الظلمات التامة ، فسق و جهل و كفر و غفلة، ثم يخرج منها إلى الملكوت ، محل النور التام ، و لذلك كانت كلمة "نور" في آية النور المباركة قد ذكرت خمس مرات، فليس العالم الذي يعرف الهدى و كيفية تعليم الناس بمعصوم عن الخطأ، و لا ينبغي أن يكون كذلك، بل يكون أسوأ الناس، بحكم جهله ، ثم يبعثه الله من الموت إلى الحيوة الخالدة ، فعندها و عندها فقط سيعرف كيف يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لأنه هو نفسه كان في الظلمات فأخرجه الروح من الظلمات الآفاقية إلى نور الملكات ، فأعلم الناس الجاهل إذا تعلّم .

إذا رسمنا خطّاً ، و كتبنا حرف الفاء سنرى أن الفاء حرف فوق السطر ، مآد رأسه إلى فوق ، أما حرف الراء فحرف تحت السطر ، فالفهم هو أن قمّة الظلمات هو لما لا يرى المرء إلا الظاهر و الظواهر ، الجسمانيات و الحيوة الدنيا ، لا يرى أنه يوجد شئ غير المال و توابعه ، أما قمة النورانية لما يرى الإنسان بالباطن ، بحقيقة الأشياء ، يبحث في جذر الأمر و لا يرضى بالسطوح ، لأن الظاهر إنما يتشكّل بحسب ما في الباطن ، فإن كان رجل يعتقد بأن الحيوة هي جمع للمال و بذخ في لاعيش ، هذه عقيدة عقلية باطنية ، ستنعكس في الظاهر بأن لا يبالي من يؤذي لجمع المال ، أن يصرف ماله في السفاهات و سئ الشهوات بدل أن ينفق هذا الزائد لبناء أمر نافع أو إعطائه لمن يحتاجه إذ ظاهر أنه قد استغنى عنه لما أعطاه لأهل الشرّ ، و هكذا كل أمر يبدأ من الباطن إلى الظاهر ، و هذا هو النظر الصحيح ، أما الذين انتكسوا فتراهم يحكمون أمر الآخر بحسب ما يريدون من أمر الدنيا ،فلو تعارض أمر الدنيا مع أمر الآخر تركوا الباطن للظاهر ، و هؤلاء هم الذين يختارون أي أمر الله يتبعون ، فإذا كان الحق لهم و في صالحهم أسرعوا إليه ، و لو كان عليهم و ولّوا مدبرين ، و كذلك كل إصلاح يحب أن يبدأ من مستوى المفاهيم العقلية ثم النتيجة ستبرز بسهولة إن شاء الله .

معنى كلمة "انحر" هي بحسب الحروف ، المتوحد نور يحب الربوبية ، و الربوبية نظام الحكم القائم في الملكوت ، و الحب الجمع بين الشيئين حتى يتّحدا ، كذلك المتوحد ، و هو المتأله العاشق للنفس المتعالية ، يجب أن يأتي بنظام حكم الملكوت إلى عالم الآفاق ، حتى يصبح نور الملكوت تام الإشراق هنا ، و لهذا نزلنا إلى هنا ، فافهم هذا جيداً.

" و فوق كل ذي علم عليم " .

-.-

{ إن شانئك هو الأبتر }

أربع كلمات ، خمسة عشر حرفا ، أربعة ظلمانية ، و أحد عشر نورانية.

في عالم الخلق الزوجية حتم ، فلكل فوق تحت ، و لكل مشرق مغرب ، و لكل حق ضد هو الباطل ، فالأضداد رمز الخلق ، و لذلك كان لابد أن يوجد عدد لأهل الملكوت ، كما أن الظلمة ضد النور ، فعندما يقول "إن شانئك" يقرر أنه سيوجد لك عدو مبغض لشؤونك، فلا هو يصلّي و لا هو ينحر، و هذه سنة الخلق، فتبني على ذلك أنه يجب أن نتحمّل العدو و لا نظن أن الخير في سفك دمه أو فناءه ، لأن الشئ يُعرف بضده ، فكيف سيعرف لناس دعوة الملكوت إن لم يعرفوا عبدة الطاغوت، و أيضا أنه ما دمنا في عالم الخلق فإن الضد لن يختفي، إذ لا تفنى الزوجية إلا في عالم الهوية الإلهية العلية. فعلى صاحب القرءان و العقل أن يحفظ هذا في قلبه دائما فإنه أساس معاملاته مع غيره.

ما معنى "شانئك" هي كلمة مبغض و كلمة شؤون انجمعوا في هذه الكلمة، لتدل على أنه المبغض ليس لذاتك ، و إنما الذي يبغض شؤونك، أي أعمالك التي تؤمن بها و تقوم بها ، و أحوالك التي تمرّ بها ، فالأب المعاند قد يحب ابنه المتأله لأنه ابنه ، فهو يحب ذاته، و لكن يبغض حلمه و خلواته و قراءاته و أصحابه و كثرة سكونه و دعوته ، و المقصود هنا هو الذي يبغض شؤون المؤمن ، إذ يقول "لا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا" فإلى هذا تشير الكلمة و بهذا توحي.

ما معنى "الأبتر" عن ماذا انبتر، عن الملكوت و الملأ الأعلى، فإن كان الملكوت محل النور التام و الآفاق محل الظلمة التامة، و كان هذا الشخص يبغض الصلاة و النحر، وسيلة الإتيان بالنور ، فإذن هو مقطوع عن النور غارق في الظلمات ، فإذاً تعرف نفسك و من حولك ليس بما يقولون و لا ما يزعمون أنهم به يعتقدون و إنما بحل يحبون طريق الملكوت أم لا ، و الحب العمل بالمحبوب و إلا فهو إفك و كذب جميل.

الملك من الناس هو الذي يريد أن يأتي بحكم الملكوت إلى الآفاق ، تذكر هذا دوماً.
إن كان الذي يبغض الملوك يُحكم عليه بأنه مقطوع عن النور ، فإذا الذي يحب الملوك سيصله الله بالنور، إن الإنسان عاجلا أم آجلا سيتبع طريق الذين يحبهم، بقدر استطاعته ، فترى أهل الجهل يحب الواحد فيهم طاغية تسلّط على رقاب الناس، أو مترفا يحى و كأنه خلق للتبذير و الفجور ، و ما شابه، و هو و إن كان ليس من سلالة الطواغيت و لا هو يملك مالا كهذا المترف ، إلا أنه من شدّة حبّه له إن توفّر له سبب يجعله يلحق بركبه سيتخذه سبيلا مهما كلّف الأمر ، كذلك المؤمن إذا أحب الملوك فإنه سيسرّ له الرب طريق السير كما ساروا ، و لو كان قابعا في غرفته مغلق عليه بابه ، و هل سفر الملوك من دولة إلى دولة أم من مقام إلى مقام، من فقر إلى غنى أم من جاهلية إلى إسلام، و إنما يقع الحب إذا اتفقت الغايات ، فرجل يحب المال إن وجد من عنده المال أحبه و قدّره ، فهو يرى فيه نفسه كما يطمع أن تكون، و لذلك يحبه لأن كل إنسان يحب نفسه ، فإذا رأى نفسه في مخلوق آخر أحبّه ، كذلك الذي يطمع بنيل نور الملكوت و سماع الملأ الأعلى و مجالستهم ، يحب كل نبي و ولي متأله ، يحبهم لأنهم وصلوا إلى حيث يقصد ، و يعتني بكلماتهم لأنها آية و حولهم، بل و هو خير من يشرح كلماتهم لأنه منهم وهم منه "فمن تبعني فإنه منّي" و ليس كالمتطفلين على الأنبياء، ممن لا حظ لهم من السير إلا قال و قيل ، فالحب هو الجامع بين المحب و المحبوب ، فأنت مع من تحب .

كلمة "الأبتر" جذرها هو بتر ، و هي عكس رتب ، أي التنظيم و التنسيق و الترتيب ، فإذاً السمة البارزة التي تفصل بين الملوك و العبيد هي أن العبيد يعيشون في هذه الحيوة في حيرة و غموض و عشوائية، و ليس أمرهم منظم و لا هدفهم محدد ، أما الملوك فقد تذكروا سبب نزولهم ، و عرفوا الملكوت كله ، و تصميمه و هيئته ، و نظام حكمه و حال أهله و أعمالهم ، فدرس ذلك جيداً، ثم وضع نظاماً لنفسه ، و رتب مراحل دعوته، حتى يقيم في بيته و أهله نظام النور، و إشراق جمال المعشوق، ثم بدأ يدعو بنفسه و بكلامه لذلك ، فهو يعرف ما سيواجه في البداية أثناء الدعوة و ما هي الاحتمالات التي قد تنتهي بها حياته هنا ، و يعرف ماذا يفعل لو انتصر الملكوت في زمنه ، و جاء الله و الملائكة إلى الأرض ، فأمره منسّق ، و علمه محقق، و كلامه مسدّد ، و كل أمره ظاهره و باطنه مرتّب ، و هذا هو الفاصل بين من يحيى بالله ، و بين من لا يعرف أهو حي أم لا.

لما قال "إن" فقد أكّد أن الذي يبغض الملك "هو" فأعاد الإشارة إليه "الأبتر" فالفهم هو أنه لن يحجب الرب الملكوت عن أحد من الناس إلا إن اختار هذا الإنسان معاداة الدعاة إلى الملكوت ، فمن أحبّهم فقد عرفت ما سيكتب لهم ، و من وقف على الحياد ، فلا هو محب و لا هو معاد ، هؤلاء بحسب أعمالهم و رغباتهم سيتحدد أي كفّتي الميزان ترجح ، فينظرون إلى هؤلاء و إلى هؤلاء ، و إلى أي الاثنين يميل قلبهم سيكون منقلبهم.

ما آية الأبتر ، هو الذي لا يعرف بركة و حرمة السبت .

يسأل المؤمن المتأله فيقول ، رب كيف أعرف من هو عدوّي فأحذ منه ، فيجيبه الله يقول "الأبتر" .

البتر هو قطع العضو ، و العضو في الجسم هو من نفسه كيانه ، فبتر الشئ هو قطعه من شئ هو من أجزاء حقيقته ، و لذلك سمّي من لا حظّ له من عقل الله بالأبتر ، لأن العوالم وحدة تامة ، فمن قطع نفسه عن عالم فكأنه يقطع عضواً من الجسم الواحد.

كيف يبتر الإنسان نفسه عن الملكوت ، بأن لا يرغب في معرفته ، و لا يسأل الذين يعرفونه ، و يعادي الذين يدعون إليه ، و الإعراض أقلّ العدواة .

من سيعادي المتأله ، تابع للأحزاب ، إذ ليس لهم حظّ من القرءآن ، أليسوا يتبعون طرقا ما أنزل الله بها من سلطان.

"الأبتر" ستة أحرف ، و تشير إلى الأيام الستة ، و هو قد بتر نفسه عن اليوم السابع ، السبت ، إذ لكل يوم عمل و حقيقة ، من حققها فقد اتصل باليوم ، و من أعرض عنها فقد بتر نفسه عن اليوم ، و السبت هو الملكوت في جوهره .

"الأبتر" هو الذي لا يصلي لربه و لا ينحر ، فإنما يفترق الناس في الأمر الذي يجعلونه أساس حياتهم و حركتهم، ثم تتشكل باقي أعمالهم و اختياراتهم و مشاعرهم بحسب أساسهم ، و بحسب محور حركتهم، فمن جعله اللعب و

التفاخر تشكلت كل أعماله لتتفق و هذا المحور ، فما قرّب منه فهو الخير ، و ما صرف عنه فهو الشرّ ، فالدعوة و التعليم يجب أن ينصب كامل الانصباب إلى هذا الأساس ، افهم هذا جيدا ، اعرف أساسك الذي اخترته ، و كن شديدا في نقده ، و النظر إليه من كل جوانبه ، و برهن عليه و جادله ، و أحسن اختيار أساس حياتك ، لأنه لا محالة إما أن يكون سببا لشقائك أو سعادتك، لرقيك أم للأخرى و العياذ بالله، و أهم اختيار في حياة الإنسان هو محور حياته، ، و لا يوجد من لا محور له ، استحالة ، و لكنه قد لا يعرفه ، و إن لم يعرفه فهو غالبا محور سئ قبيح يورده المهالك ، و يجعله كما قيل، "استهوته الشياطين في الأرض حيران" فأنت محور حياتك، فانظر من تريد أن تكون.

قبول الكوثر هو محور حياة الملوك ، و دخول الأرض المقدسة هو غايتهم ، و بناء الآفاق حتى يصبح كالملكوت هو حياتهم ، و لا يزال الإنسان في قلق و حيرة و غم و جهل حتى يصل إلى هذا ، لأنه علم ذلك أو نسيه فإنه إنما اختار النزول إلى الآفاق لأنه قال للرب ، اجعلني أنزل لكي أحقق رؤية أبي و رؤيتي ، أريد أن أبني في هذه الصحراء مملكة كمملكتك ، أريد أن أرفع المملكة من الظلمة التامة إلى النور التام، فخرج من بيته من أجل ذلك ثم إذا فرغ أو انتهت مدّة سفره عاد إلى بيته، فإما منكس رأسه من الخجل و إما رافعا رأسه كالمنتصر "إنا لله و إنا إليه راجعون " .

إن القرءان يقول "هو" فماذا عن "هي" ، أي لو عادت امرأة ملكاً، فهل تدخل في هذا، كحمالة الحطب، و السرّ في هذا أن "هو" مذكر، يشير إلى العقل الذي يقذف النور و المنطق ، و هذا في الرجل و المرأة، و موقف الإنسان من أن ما هو موقف عقلي ، فالعقل مذكر سواء في الرجل أو المرأة ، فإن الحكم للعقل لا للجسم . و لذلك امتفى ببيان العدوّ بالذكر حتى تعلم أن الأمر كله في العقل . فبما أن أصل العداوة في العقل فلذلك كانت الدعوة يجب أن تكون موجّهة فقط للعقل، فلا محل للإكراه و لا إجبار، العقل العقل و لا شئ غيره "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة" و هل يفهم الحكمة مجنون "و بالموعظة الحسنة" و هل سيسمع الغبي الذي لا يتفكر، " و جادلهم بالتي هي أحسن" و هل الجدل من أمور الجسم أو العقل، فآية دعوة الملكوت أنها موجّهة إلى باطن الإنسان، و آية الطواغيت رغبتهم في إخضاع الإنسان و جعله في نظام محدد كالبهائم حتى لو لم يفهمه و لم يرده "لا إكراه في الدين . قد تبينّ الرشد من الغيّ" .

العقل كل شئ ، فعقلك إما جنة و إما جهنم ، و أنت تختار . "إنّا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا".

كيف يبتر العقل أمر ما عن نفسه ، بأن لا يفكّر فيه . فالذي لا يتدبر في القرءان ، أليس يدخل تحت حكم الأبتر ، و الذي يداوم على التأمل فيه ألا يكون متحدا معه "بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم".

الإنسان أربعة ، القلب و العقل و الجسم و النفس ، القلب للنفس العلية ، و العقل للملكوت ، و الجسم للآفاق ، و النفس كالبذرة التي يرعاها هؤلاء الثلاثة حتى تصل إلى كمالها المقدّر لها من قبل الخالق كالنطفة " من نطفة خلقه فقدّره . ثم السبيل يسّره " . احفظ هذا أكثر من حفظك اسمك ، فإنه باب العلم كله .

أما القلب فليس له إلا النفس العلية ، و هو الهوية المتعالية عن زوجية الخلق ، هذا من حيث السرّ ، فهو محلّ تجلّي المعشوق و لا جدل و لا كلام فيه من حيث أنه كالمرآة للنفس العلية .

و أما الجسم فإنما يرجع في أعماله و تأثراته إلى مفاهيم و توجيهات العقل ، فهو كالآية بيد صاحبها، هل يتحرك السيف بنفسه أم أنه رهن إشارة سيّده.

و أما النفس فهي محل تأثر لا غير .

فإذا لم يبق إلا العقل ، و لذلك كان هو كل شئ ، إذ هو الذي يتأمل و يحدد و يأمر و ينهى ، و هو من الملكوت و فيه ، فكما أنك بجسمك تحيا بين الأجسام في عالم الآفاق ، كذلك من كان عقله حيا يحيى بين الملأ الأعلى و الملائكة في عالم الملكوت ، و ليس للعقل إلا عالم الخلق ، فكل ما كان مخلوقاً فالعقل يعرفه و يستطيع أن يعرفه و يصفه و يحكم فيه ، و كما أن الأجسام تختلف في قوتها ، إذ قد يحمل جسما ما لا يقدر عليه آخر، كذلك العقول، و كما أن الجسم قد يدخل إلى قصر الملك و قد يمنع من الدخول أو لا يصل إليه أصلاً ، كذلك العقل لا يدخل إلى الملأ الأعلى، بل قد يُطرد و يقذف من كل جانب.

فإن كان القلب كالمرآة ، و الجسم كالجنّة و النفس محلّ تأثر فقط ، فلم يبق للتأثير و الحرية الإنسانية إلا العقل، فليس ينبغي الاهتمام بشئ في المجتمع الإنساني بقدر الاهتمام بالعقل. و هذا معنى و تحقيق كلمة "هو" .

يظهر من قوله " إن شانئك هو الأبتر " أن هذا المبغض يرمي أهل الملكوت أنهم مبتورين عن الحق ، فتأمل في أنه لم يقل "إن شانئك مبتور " أو "إن شانئك أبتر" ، فما وضع "هو" ، دلّ على أنه هذا المبغض يقول عن الذين يتبعون نهج "فصلّ لربك و انحر" و يقول لهم إنكم مبتورين عن السعادة، فيرد الله عليه بأنه هو الأبتر، و ثمّة أمران نريد أن نفصّل فيهم بناء على هذا.

الأمر الأول هو أن الله لم يوجّه الكلام لهذا المبغض للملكوت و يقول له "إنك أبتر" بل وجّه الكلام للولي. و هذا عين البتر الذي وقع على هذا المبغض، إذ لن يكلمه الله لا في الدنيا و لا في الآخرة. فالأبتر إذن هو الذي لا يكلمه الروح و لا يمتلئ بنور الملكوت و يفهم شؤونه.

الأمر الثاني هو أن الولي لا يدافع عن نفسه بحكم أفكاره و توجهاته هو ، و إنما يدافع عنه الله الذي يعمل له، و لذلك لم يقل الله "قل إن شانئك" أو "قل لشانئك" أو "قل إنك الأبتر" و ما شابه، بل كان الحكم صادراً من الرب نفسه، فالأولياء يعملون بنهج الملكوت، و الرب هو الذي سيتكفّل بالمبغضين لدينه، أما الأولياء ففي سلام "ادخلوا في السلم كافة".

و ينبني على الأمرالأول ، عدم تكليم الله للمبغض للصلاة و النحر ، أمر مهم ، إذ بما أن الجزاء العادل من جنس العمل ، فالسيئة بالسيئة و الإحسان بالإحسان ، و بما أن الله يمدّ بحسب استعداد و طلب العبد ، فبما أن الله لم يكلّم هذا المبغض فإذاً هذا المبغض لم يكلّمه الله أولا ، و لذلك لم يكلّمه الله جزاءً، فمن كلّم الله كلّمه الله.

يقول الله "لم تقولون ما لا تفعلون" ، فإذاً الله يسمع لصوت الأفعال أكثر من سماعه لصوت الأقوال، فمن قال "رب اغفر لي" و كان مصرّا على الغفلة لا يريد أن يتركها بحال و قد جزم و عزم، لم يسمع الرب لصوت قوله، و اعتبره كأنه لاشئ، و سيسمع لصوت فعله و يلبّي له طلب بحسب فعله، فإذاً تكليم الله بالأفعال هو التكليم الحق ، أية أفعال ، الجواب هو هذا "فصلّ لربّك و انحر" هذا هو اللسان الذي يقبله الله و يجيب الذي يدعوه به، و لسان الأقوال إن جاء يؤيد و يترجم عن لسان الأفعال كان نور على نور. و إلا لا اعتبار له.

الآن نفهم لماذا صار هذا الشانئ أبترا. لأنه لم يصلّ لربّه و لم ينحر ، و بقدر الانقطاع عن نور الملكوت يكون الاتصال بظلمات الآفاق، فقر و مرض و جهل و طاغية و حروب و حيرة و ريب و كل الظلمات .

المجتمع يُحكم عليه بحسب أكثرية أهله ، فإن كانت الأكثرية مبتورة على العقل الرباني كان مجتمعا مظلماً و سترى فيه هذه الظلمات تفعل فيه فعلها ،و إن كانت الأكثرية تتبع منهج الله كانت مجتمعا نورانياً، و سترى فيه عكس صفات الظلمات، فكل فرد يختار الملكوت إنما هو نور في ميزان الحكم على المجتمع، فكل حسنة تفعلها تزيد بالنور، و كل من يعمل سيئة فإنه يثقّل كفّة ميزان الحكم على المجتمع، و كل فكرة حسنة توضع في كفة النور، و كل نية سيئة توضع في كفة الظلمات، فلا يوجد فرد في المجتمع، مجتمع الدولة أو مجتمع العالم، إلا و هو يساهم في تثقيل أحد كفتي الميزان، حتى بالنية العارضة المغفول عنها، ليس لك إلا نفسك ، إن اخترت النور كنت عند الله عظيما، و من اختار الظلمات فهم و ما اختاروا، فلا يوجد من لا أهمية له، حتى العجوز المغمور المشلول، و حتى الشاب و الصبي الجاهل بالأمور، بداية من النية مروراً بالفكرة مروراً بالعمل، إما أنور تضيفه إلى كفة الاتصال بالملكوت و إما ظلمة تضاف إلى كفة الانبتار عنه، ثم بحسب الكفة الراجحة يتحدد ماذا سيحل بالمجتمع من أمور، هذا أهم ما يجب أن يعرفه كل فرد في العالمين، و لعله أهم من معرفه اسمه.

فكل فرد في العالم مسؤول عن العالم كله، إذ لابد إما أن يضيف إلى كفة النور أو كفة الظلمات لا محالة، و يوم القيامة عندما يتحقق قدر الخلق ، الأرض المقدسة، هو يوم يتم الاتصال التام بين عالم الآفاق و بين عالم الملكوت، و هذا يوم ينمحق فيه كل أبتر من على وجه الأرض، ينمحق بأن يصبح نورانيا و يختار الصلوة.

هل في الإمكان الواقعي أن يختار كل الناس الملكوت على الطاغوت؟ اعلم أن اليوم أكثر الناس مع الطاغوت، و قلّة مع الملكوت، فالكفة ترجع لصالح الطاغوت، و لذلك يحل بالناس ما يحل بسبب اختيارهم هم للولاء للطاغوت، و بسبب المصائب التي تحل بالناس بسوط العذاب الهادي إلى الله، إذ كل من لا يختار أمر الكتاب فإن الله يهديه بسوط العذاب، فمع مرور الوقت فإن الناس ستختار الأصلح، و شيئاً فشيئا سيقتربون من الروحانية الحقة، كما نرى في يومنا هذا، و بظهور علم الله بين الناس، سيأتي يوم ترجح فيه كفّة أهل الملكوت على كفة عباد الطاغوت، وعدنها ستكون الأكثرية علماء و القلة هم الجهال الأشقياء.

و بما أن الحكيم إذا عاش في مجتمع السفهاء سيصبح سفيها مثلهم، و السفيه إذا خالط الحكماء كذلك سيصبح حكيما مثلهم لو طالت مخالطته لهم و كان في مجتمع حكماء، ألا ترى أن الرجل إذا تعطّر و سكن بين المزابل و الجيف أوشك أن تصبح رائحته كرائحة ما حوله، اعرف هذا جيدا، و تذكره حين تختار أصحابك و مجتمعك، فالمجتمع هو رب يفرض أحكام على أهله و الساكنين فيه.

إذا أصبح المجتمع أكثره علماء، و كانت القلة الجاهلة يجب أن تخالط العلماء بسبب أخلاقهم و أحكامهم، كما أن العلماء اليوم يخالطون الجهّال بحسب عاداتهم و شؤونهم عامّة، فالجهال و لو بعد حين سيقل عددهم، إذ سيفرض عليهم المجتمع الصالح أحكامه، فيزداد عدد العلماء كثرة، و الجهال قلة، ثم مع مرور الوقت ، يقل عدد الجهال حتى يضمحلّ و يفنى . و هو يوم القيامة الكبرى ، " و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون".

كيف نجمع بين مقول "إن وجد أهل الملكوت فيجب أن يوجد أهل الطاغوت كما أن النور يجب أن يوجد مع الظلام" و بين مقولة "القيامة الكبرى لا تبقي أحدا إلا و هو من أهل الملكوت" . الجواب هو هذا ، إن عباد الطاغوت ما زالوا اليوم على الأرض لأنهم لم يتذوقوا حياة الملكوت، فهم ما زالوا يسيرون على هدى سوط العذاب، حتى يجبرهم في نهاية المطاف على تذوق النور، فإذا ذاقوه استطاعوا الآن أن يقارنوا بين الظلمات و النور، كما أن يونس اختار الهداية بسوط العذاب حتى ألقي في الظلمات فنادى النور وقتها و ذهب إلى حيث يجب أن يذهب، و اختار ذلك بنفسه، فهل سيختار العودة إلى بطن الحوت الموحش بعد أن تذوّق طعم الحرية و العلم، و إن اختار فسيُلقى مرّة أخرى، و مرّة أخرى، و مرّة أخرى، حتى يختار أن لا يعود إليه مرّة أخرى، و يتبع النور، كذلك كل نفس في العالم، حتى يختار الناس كلهم النور، فوقتها لن يبقى أحد يختار الطاغوت، إذ أين الليل إذا أشرقت شمس الظهيرة. "قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا".

تأمل كيف حعل القرءان العلاقة بين الصفات و العامل، و جعل العامل هو رمز و مظهر الصفات المجردة، إذ قال "إن شانئك" و لم يقل "إن مبغض هذه الأعمال" و ما شابه، فالفهم أن الأخلاق و الأعمال ليست أموراً مجردة يجب أن يحصّل الإنسان، و إنما توجد لمّا يأخذه بها، فالاحتجاجات النظرية لصحة خلق و بطلان عمل لا محل لها عند الله. و إنما يحتج بالعمل الذي استطاع أحد أن يعمل به، فالتحقيق في الواقع هو الذي يثبت صحة النظرية و ليست الأدلة و المجادلات المنطقية وحدها، نعم وجود الجدل ينقّي النظر، و لكن التحقق في الواقع هو المصداق الأكبر لكل مقولة.

فبناء على ذلك ، من أراد أن يثبت صحة طريقة ما يجب أن يقوم بها، و من جاء بمثال من الواقع يدل على فساد طريقة ما كان هذا هو الحكم الذي يجب أن ينطبق عليها، إن تحققت كل الشروط و الأوصاف بين الواقع و النظرية، و مع أن هذا صعب و لكنه حسن و فيه من العلم الشئ الكثير.

فكم من الأمور نستطيع أن نثبت صحتها جدليا و لكن إذا طبقناها وجدناها غير ذلك، و لذلك عند أهل العقل يجب أن نعمل حتى نعرف تمام المعرفة، و أي معرفة قبل العمل هي في النقص و أحكامه، و يندر أن يتحقق اليقين

في عمل ما و صحته و فائدته ، إلا إن كان من الوحي المقدس ، و حتى هذا الواقع هو الذي يصدقه "يأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّا" فلم يُسمّها حقا إلا بعد أن صدّقها الواقع ، فافهم .

اعلم ، بل تذكر ، أن النفس إذا نظرت إليها من حيث ذاتها رأيتها فقرا محضاً، مفتقرة إلى النفس العلية "يأيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله و الله هو الغني الحميد" و هذا الفقر فيها ذاتي لا يغيره شئ و لا يمكن تغييره، إذ إلى أين ستذهب بدون الهوية المتعالية ، هل غيرها لتذهب إليه ، فالمقدّس لا يرى نفسه أصلا، إذ نظر بعين الوحدة المطلقة، "كل شئ هالك إلا وجهه"، فهذا على صلة بالهوية، لا بعد انقطاع و انفصال، و إنما تذكّر لهذه الحقيقة، و حتى التذكر لا يصح أن يطلق لأنه نوع من الانفصال، إذ يجعلك في حال تتذكّر فيه الهوية، أي أن التذكر شئ و الهوية شئ و هذا باطل، إذ "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" فالتأله عشق لا شئ فيه إلا هوية المعشوق ، بل العشق نفسه لا غير، أما المبتور الملعون فإنه يظنّ نفسه شيئا مستقلا بذاته، و يرى أنه لن تتحقق نفسه ، و هذا ما أشار إليه بقوله عنه "إن شانئك هو" لما جعل ضمير "هو" و هو عائد إلى نفس، و أظهر هذا الضمير و لم يقل "إن شانئك أبتر" دلّ على نوع من الانبتار و هو توهم الاستقلال و القيام بالنفس، فانقطع عن العشق لا لشئ سوى خيال فاسد في نفسه، و ظنّه أنه شئ يُذكر، و لذلك قال بعد "هو" أنه أصبح بعد توهم هذا "الأبتر" ألا إن الوجود إنما هو الهوية العلية و أسمائها الحسنى، و لا شئ غير ذلك ، و كل ما عدا ذلك وهم سيئ يبتر صاحبه عن الجنة النارية و يُلقيه في واد سحيق من الإنية، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، و طوبى لمن يشعر بغير الله و لم ير أحدا سواه "قل هو الله أحد".

و كون "هو" حرفان ، يدلّ على أن هذا المبتور عن العشق يظن أن الهوية العلية شيء و أن نفسه شيئا آخر منفصل عنه، و هو عين الشرك، و إن النفس الإلهية لنار ليست أقل من نار سقر التي لا تبقي سواها و لا تذر.

لما قدّم الله ذكر "شانئك" على "الأبتر" دلّ ذلك على أنه لا يجوز الحكم على أحد قبل ثبوت عمله ثبوتا تاما لا مرية فيه، و الحكم بالظاهر باطل، فقبل الحكم على أحد، هذا لمن وجب عليه أن يحكم لعمل ما، يجب أن يفهم من العامل سبب علمه، فإن كان واهيا حكم بمقتضى العمل، و كم من الناس يرمون إخوانهم من الناس بالسوء لأتفه الأسباب، و إن الله يعلّم أن لا تحكم على أحد و لو رأته يقتل برئياً، إلى هذه الدرجة، إلا قبل أن تسمع سبب عمله، كقصة موسى و العبد الصالح، تصور لو أنا ننظر إلى هذا الرجل و هو يخرق سفينة و يقتل الغلام الزكي البرئ، و يجوع و يعمل لأناس بدون أن يأخذ أجرا على عمله، إن حكمنا بالظاهر ألا نحكم بالحق إذا فعلنا ، أنه فاسد سئ الأخلاق مجرم عديم الإنسانية طاغية غبي و سفيه ، و هذا الرجل حكم الله فيه أنه "عبدا من عبادنا ءآتيناه رحمة من عندنا و علّمناه من لدنّا علما" فالفهم أن الحكم بالظاهر باطل إلا أن نسمع سبب عمل العامل، و يُستثنى من هذا الطاغية و المتفرعن، لأن لسان فعله أعلى و أهم من لسان قوله، و أي حجة تكون لمن يسكن القصور و ينفع بالبذخ على نفسه و أهله و حاشيته و يكون من الشعب من ينظر في لقمة ليأكل، أما باقي الناس فعلينا أن نفهم سبب أعمالهم قبل أن نحكم عليهم، و من يستطيع أن لا يحكم فهو خير له و أسلم.

و إن الله أعطى المُلك فهل من آخذ . " و فوق كل ذي علم عليم " .

انتهى الكتاب و الحمد لله رب العالمين ....